ISSN 1016 – 4030

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

العددان الثالث والرابع [٤٣ و ٤٤]

السنة الحادية عشر / رجب - ذو الحجّة ١٤١٦ هـ.

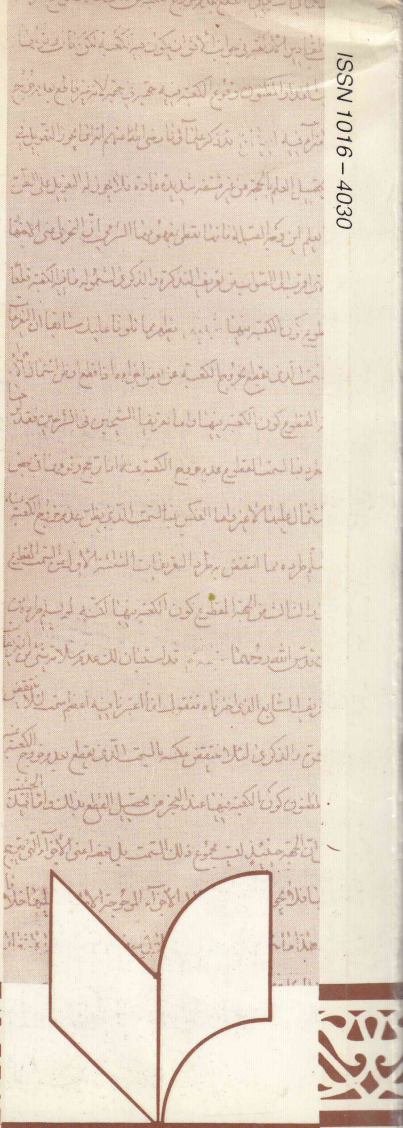

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

* الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والباحثين والمعنيّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام .
* الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة .
* ترتيب المواضيع يخضع لأُمور فنّية ، وليس لأيّ أمر آخر .
* النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها ، أو بإعادتها إلى أصحابها .

المراسلات : تعنون باسم : هيئة التحرير .

دورشهر ـ خيابان شهيد فاطمي ـ كوچه ٩ ـ پلاك ٥ ـ هاتف : ٤ ـ ٧٣٠٠٠١ .

ص . ب . ٣٧١٨٥/٩٩٦ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران .

تراثنا .

العددان : الثالث والرابع [٤٣ و ٤٤] السنة الحادية عشر /رجب ـ ذو الحجّة ١٤١٦ هـ .

الإعداد والنشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .

الكمّيّة : ٢٠٠٠ نسخة .

الفلم والألواح الحسّاسة (الزنكغراف) : واصف ـ قم .

المطبعة : ستاره ـ قم .

قيمة الاشتراك السنوي في نشرة **تراثنا** ٢٠٠ تومانا في إيران ، و ٢٥ دولاراً أمريكياً في بقيّة أنحاء العالم .

تشـييد المراجَعات
وتفنيد المكابَرات
(٥)

السيّد علي الحسيني الميلاني

المراجعـة ـ ١٢
حجـج الكتاب

قيـل :

«لا بُـدّ قبل [illegible] مرّض لاستشهاد المؤلّف بالآيات علىٰ ما ذهب إليه ، من كلمةٍ موجزةٍ في منهج الشيعة في تفسير القرآن الكريم :

إنّ الدارس للفِرق والمذاهب التي نشأت بعد حركة الفتح الإسلامي وآستقرار الإسلام بدولته المترامية ، لا بُـدّ وأنّـه يلاحظ أوّلاً أنّ هذه الفرق اتّخذت القرآن الكريم وسيلة للاستدلال علىٰ آرائها ، ولكنّ الفَرق بين أصحاب الآراء الصحيحة التي لا تخالف الأُصول الإسلامية وبين غيرهم من أصحاب المذاهب المبتدعة : أنّ الأوائل كانوا تابعين لِما تدلّ عليه معاني القرآن الكريم ، موضّحين لدلالات ألفاظه كما فهمها سلف الأُمّة وعلماؤها ، وكما فسّرها الرسول صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ، فكانوا

ضمن دائرة التمسّك بالكتاب والسُنّة، لم يشذّوا عنها.

أمّا أصحاب البدع والأهواء، فقد رأوا آراءً، واعتقدوا اعتقاداتٍ أرادوا أنْ يروّجوها على الناس، فأعوزتهم الأدلّة، فالتفتوا إلى القرآن الكريم... وهم كما قال ابن تيميّة...

أمثلة من مواقف الشيعة في التفسير: يقول ملّا محسن الكاشي في مقدّمة كتابه: (الصافي في تفسير القرآن الكريم)...

وملّا محسن الكاشي ممّن يرى أنّ القرآن قد حُرّف... ولا يتورّع هذا الرافضي المفتري من الطعن على كبار الصحابة الكرام، ويرميهم بكلّ نقيصة، ويجرّدهم من كلّ مكرمة، هكذا فعل مع عثمان في تفسير الآيتين ٨٤ و ٨٥ من سورة البقرة، وهكذا فعل مع أبي بكر في تفسير الآية ٤٠ من سورة التوبة، وكذلك طعن في أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة عند تفسيره أوّل سورة التحريم ﴿ **يا أيّها النبيُّ لِمَ تحرّم ما أحلَّ الله لك...** ﴾.

ويعتقد عبدالله بن محمّد رضا العلوي ـ الشهير بشبّر ـ المتوفّى سنة ١٢٤٢ أنّ القرآن قد حُرّف... وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ٤٠ من سورة التوبة ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنودٍ لم تروها...** ﴾ الآية، نجده يعرض عن تعيين هذا الذي صحب النبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في هجرته وهو أبو بكر، ثمّ يصرّح أو يلمّح بما ينقص من قدره أو يذهب بفضله المنسوب إليه والمنوّه به في القرآن الكريم، فيقول...».

أقول:

لا بُدّ قبل التعرّض لاستدلال السيّد ـ رحمه الله ـ بآيات الكتاب الكريم على ولاية أهل البيت عليهم السلام، على ضوء الأخبار المتّفق عليها بين

علماء الفريقين، من ذِكر الأُمور التالية بإيجاز:

١ ـ إنّه كما لغير الشيعة الإماميّة الاثني عشرية من الفرق الإسلامية منهج في تفسير القرآن الكريم، وفهم حقائقه وأحكامه، وأسباب نزول آياته... كذلك الشيعة، وإنّ منهجهم يتلخّص في الرجوع إلىٰ القرآن وما ورد عن العترة المعصومين بالأسانيد المعتبرة... وهذا أمر واضح، وللتحقيق فيه مجال آخر.

٢ ـ إلّا أنّ منهج البحث في كتب المناظرة يختلف... فإنّ من الأُصول التي يجب علىٰ الباحث المناظِر الالتزام بها هو: الاستدلال بالروايات الواردة عن طريق رجال المذهب الذي يعتنقه الطرف المقابل، وكلمات العلماء المحقّقين المعروفين من أبناء الطائفة التي ينتمي إليها.

فهذا ممّا يجب الالتزام به في كلّ بحثٍ يتعلّق بالفِرق والمذاهب، وإلّا فإنّ كلّ فرقةٍ ترىٰ الحقّ في كتبها ورواياتها، وتقول ببطلان ما ذهب إليه وقال به غيرها، فتكون المناقشة بلا معنىً والمناظرة بلا جدوىٰ.

وعلىٰ هذه القاعدة مشىٰ السيّد ـ رحمه الله ـ في (مراجَعاته) مع شيخ الأزهر (الشيخ البشري)...

وفي (حجج الكتاب)... حيث يشير إلىٰ المصادر السُنّية المقبولة لدىٰ (الشيخ)...

فكان القول بنزول الآية المباركة في أمير المؤمنين أو أهل البيت عليهم السلام قولاً متّفقاً عليه بين الطرفين، والحديث الوارد في ذلك سُنّةً ثابتةً يجب اتّباعها والتمسّك بها علىٰ كِلا الفريقين.

وقد كانت هذه طريقة علمائنا المتقدّمين...

٣ ـ ولم نجد الالتزام بهذه الطريقة التي تفرضها طبيعة البحث والحوار في كلمات أكثر علماء أهل السُنّة...

ومن أراد التأكّد من هذا الذي نقوله فلينظر ـ مثلاً ـ إلىٰ كتاب «منهاج

الكرامة في إثبات الإمامة» للعلّامة الحلّي، وما قاله ابن تيميّة في (منهاجه) في الردّ عليه، وليقارن بين المنهاجين، خصوصاً في فصل الاستدلال بالكتاب، فبدلاً من أن يلتزم ابن تيميّة بالقواعد والآداب أخذ يسبُّ العلّامة ويشتمه ويتّهمه بأنواع التهم! ثمّ يضطرّ إلىٰ اتّهام كبار أئمّة السُنّة في التفسير والحديث ـ الّذين نقل عنهم العلّامة القول بنزول الآيات في أهل البيت، كالثعلبي والواحدي والبغوي ونظرائهم ـ بنقل الموضوعات ورواية المكذوبات، وأمثال ذلك من الاتّهامات، وسنتعرّض لذلك في خلال البحث عن الآيات.

ثمّ إنّ ابن تيميّة أصبح ـ وللأسف ـ قدوةً للّذين يجدون في أنفسهم حرجاً ممّا قضىٰ الله ورسوله، فلوّوا رؤوسهم وآستكبروا استكباراً، أمّا الشيخ البشري وأمثاله، فأذعنوا للحقّ وآتّبعوه، فمنهم من أخفىٰ ذلك ومنهم من أجهر به إجهاراً...

٤ ـ وفضائل الإمام عليّ وأهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، وما نزل فيهم من آياته الكريمة، كثيرة جدّاً، حتّىٰ أنّ جماعة من أعلام السُنّة أفردوا ذلك بالتأليف...

هذا، بالرغم من الحصار الشديد المضروب علىٰ رواية هذا النوع من الأحاديث ورواته!

أمّا غير أهل البيت، فلم يُدّع ـ حتّىٰ في كتب القوم ـ نزول شيء من الآيات في حقّهم..!

أُنظر إلىٰ كلام القاضي عضد الدين الإيجي ـ المتوفّىٰ سنة ٧٥٦ هـ ـ في كتابه «المواقف في علم الكلام» الذي هو من أجلّ متونهم في علم الكلام، يقول:

«المقصد الرابع: في الإمام الحقّ بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله]

وسلّم ، وهو عندنا أبو بكر ، وعند الشيعة عليّ ، رضي الله عنهما . لنا وجهان : الأوّل : إنّ طريقه إمّا النصّ أو الإجماع . أمّا النصّ فلم يوجد . . .»[١] .

نعم ، ذكر في المقصد الخامس ، في أفضل الناس بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم : «هو عندنا وأكثر قدماء المعتزلة أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ، وعند الشيعة وأكثر متأخّري المعتزلة عليٌّ . لنا وجوه : الأوّل : قوله تعالىٰ : ﴿ **وسيجنّبها الأتقىٰ * الذي يؤتي ماله يتزكّىٰ** ﴾[٢] . قال أكثر المفسّرين ـ وآعتمد عليه العلماء ـ أنّها نزلت في أبي بكر . الثاني : قوله عليه السلام . . .»[٣] .

فلم يستدلّ من الكتاب إلّا بآيةٍ واحدة ، نسب إلىٰ أكثر المفسّرين نزولها في أبي بكر .

فهذه آية واحدة فقط !

وهناك آية ثانية ، وهي آية الغار ، جعلوها فضيلة لأبي بكر ، وآستدلّوا بها في الكتب .

أمّا آية الغار فممّن تكلّم في الاستدلال بها : المأمون العبّاسي ، الذي وصفه الحافظ السيوطي في كتابه «تاريخ الخلفاء وأُمراء المؤمنين» فقال : «قرأ العلم في صغره وسمع الحديث من : أبيه ، وهشيم ، وعبّاد بن العوّام ، ويوسف ابن عطيّة ، وأبي معاوية الضرير ، وإسماعيل بن عليّة ، وحجّاج الأعور ، وطبقتهم . وأدّبه اليزيدي ، وجمع الفقهاء من الآفاق ، وبرع في الفقه والعربية وأيّام الناس ، ولمّا كبر عُني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها ، فجرّه ذلك إلىٰ القول بخلق القرآن .

---

(١) المواقف في علم الكلام ـ بشرح الجرجاني ـ ٨ / ٣٥٤ .

(٢) سورة الليل ٩٢ : ١٧ و ١٨ .

(٣) المواقف في علم الكلام ـ بشرح الجرجاني ـ ٨ / ٣٦٥ .

روىٰ عنه : ولده الفضل ، ويحيىٰ بن أكثم ، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي ، والأمير عبدالله بن طاهر ، وأحمد بن الحارث الشيعي ، ودعبل الخزاعي ، وآخرون .

وكان أفضل رجال بني العبّاس حزماً وعزماً ، وحلماً وعلماً ، ورأياً ودهاءً ، وهيبةً وشجاعةً ، وسؤدداً وسماحةً ، وله محاسن وسيرة طويلة ، لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن ، ولم يلِ الخلافة من بني العبّاس أعلم منه ، وكان فصيحاً مفوّهاً . . .»[٤] .

تكلّم المأمون في آية الغار ، في مجلسٍ ضمّ قاضي القضاة يحيىٰ بن أكثم وأئمّة العصر في الفقه والحديث ، في مسائل كثيرة من أبواب الفضائل والمناقب ، فكان أنْ قال لمخاطبه ـ وهو : إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمّاد بن زيد ؛ والراوي إسحاق نفسه ـ :

« . . . فما فضله الذي قصدت له الساعة ؟ قلت : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا** ﴾[٥] فنسبه إلىٰ صحبته .

قال : يا إسحاق ، أما إنّي لا أحملك علىٰ الوعر من طريقك ، إنّي وجدت الله تعالىٰ نسب إلىٰ صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً ، وهو قوله : ﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثمّ من نطفةٍ ثمّ سوّاك رجلاً * لٰكنّا هو الله ربّي ولا أُشرك بربّي أحداً** ﴾[٦] .

قلت : إن ذلك كان صاحباً كافراً ، وأبو بكر مؤمن .

قال : فإذا جاز أنْ ينسب إلىٰ صحبة من رضيه كافراً ، جاز أنْ ينسب

---

(٤) تاريخ الخلفاء : ٣٠٦ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٤٠ .

(٦) سورة الكهف ١٨ : ٣٧ و ٣٨ .

إلىٰ صحبة نبيّه مؤمناً، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث.

قلت: يا أمير المؤمنين، إنّ قدر الآية عظيم.. إنّ الله يقول: ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا** ﴾.

قال: يا إسحاق، تأبىٰ الآن إلّا أن أُخرجك إلىٰ الاستقصاء عليك؛ أخبرني عن حزن أبي بكر، أكان رضاً أم سخطاً؟

قلت: إنّ أبا بكر إنّما حزن من أجل رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم خوفاً عليه وغمّاً أنْ يصل إلىٰ رسول الله شيء من المكروه.

قال: ليس هذا جوابي. إنّما كان جوابي أنْ تقول رضاً أم سخطٌ.

قلت: بل كان رضاً لله.

قال: وكان الله جلّ ذِكره بعث إلينا رسولاً ينهىٰ عن رضا الله عزّ وجلّ وعن طاعته؟!

قلت: أعوذ بالله.

قال: أَوَليس قد زعمتَ أنّ حزن أبي بكر رضاً لله؟!

قلت: بلىٰ.

قال: أَوَلم تجد أنّ القرآن يشهد أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم قال: لا تحزن. نهياً له عن الحزن؟!

قلت: أعوذ بالله!

قال: يا إسحاق، إنّ مذهبي الرفق بك، لعلّ الله يردّك إلىٰ الحقّ ويعدل بك عن الباطل، لكثرة ما تستعيذ به.

وحدِّثني عن قول الله: ﴿ **فأنزل الله سكينته عليه** ﴾ من عُني بذلك، رسول الله أم أبو بكر؟

قلت: بل رسول الله.

قال: صدقت.

قال : فحدِّثني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ثمّ أنزل سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين** ﴾[٧] أتعلم مَن المؤمنين الّذين أراد الله في هذا الموضع ؟

قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين .

قال : الناس جميعاً انهزموا يوم حنين ، فلم يبق مع رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم إلّا سبعة نفر من بني هاشم ، عليٌّ يضرب بسيفه بين يدي رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ، والعبّاس آخذ بلجام بغلة رسول الله ، والخمسة محدقون به خوفاً من أنْ يناله من جراح القوم شيء ، حتّىٰ أعطىٰ اللهُ لرسوله الظَفَر ، فالمؤمنون في هذا الموضع عليٌّ خاصةً ثمّ مَن حضره مِن بني هاشم .

قال : فمَن أفضل ؟ مَن كان مع رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم في ذلك الوقت ، أم مَن انهزم عنه ولم يَرَه اللهُ موضعاً لينزلها عليه ؟

قلت : بل مَن أُنزلت عليه السكينة .

قال : يا إسحاق ، مَن أفضل ؟ مَن كان معه في الغار ، أم مَن نام علىٰ فراشه ووقاه بنفسه حتّىٰ تمّ لرسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ما أراد من الهجرة ؟

إنّ الله تبارك وتعالىٰ أمر رسوله أنْ يأمر عليّاً بالنوم علىٰ فراشه وأنْ يقي رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم بنفسه . فأمره رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم بذلك ، فبكىٰ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ ، فقال له رسول الله : ما يبكيك يا عليّ ؟ ! أجزعاً من الموت ؟ !

قال : لا ، والذي بعثك بالحقّ يا رسول الله ، ولكنْ خوفاً عليك ،

---

(٧) سورة التوبة ٩ : ٢٥ و ٢٦ .

أفتسلم يا رسول الله ؟

قـال : نعـم .

قـال : سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله .

ثمّ أتىٰ مضجعه وآضطجع وتسجّىٰ بثوبه . وجاء المشركون من قريش فحفّوا به لا يشكّون أنّه رسول الله ، وقد أجمعوا أن يضربه من كلّ بطنٍ من بطون قريش ضربةً بالسيف لئلّا يطلب الهـاشميّون مـن البـطون بـطناً بـدمه ، وعليٌ يسمع ما القوم فيه من تلاف نفسه ، ولم يـدعه ذلك إلىٰ الجـزع كـما جزع صاحبه في الغار .

ولم يزل عليٌ صابراً محتسباً ، فبعث الله ملائكته فـمنعته مـن مشـركي قريش ، حتّىٰ أصبح ، فلمّا أصبح قام ، فنظر القوم إليه ، فقالوا : أين محمّـد ؟! قال : وما علمي بمحمّـد أين هو ! قالوا : فـلا نـراك إلّا مـغروراً بـنفسك مـنذ ليلتـنا .

فلم يزل عليٌ أفضل ، ما بـدا بـه يـزيد ولا يـنقص ، حتّىٰ قـبضه الله إليـه »[٨] .

وأمّا الآية الأُخرىٰ ، فقد ذكرنا في تعليقة «المواقف» في الجواب عن الاستدلال بها وجوهاً :

الأوّل : إنّ نزولها في أبي بكر غير متّـفَقٍ عليه بين المفسّرين من أهل السُـنّة ، وحتّىٰ كونه قول أكثر المفسّرين غير ثابت ، وإنْ جاء ذلك في شرح المواقـف[٩] .

ومن المفسّرين من حمل الآية علىٰ العموم ، ومنهم من قال بنزولها في

---

(٨) العقد الفريد ٥ / ٣٤٩ .

(٩) شرح المواقف ٨ / ٣٦٦ .

قصّة أبي الدحداح وصاحب النخلة، كما ذكر السيوطي[١٠].

والثاني: إنّ رواة نزولها في حقّ أبي بكر ما هم إلّا آل الزبير، وهؤلاء قوم منحرفون عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام ومعروفون بذلك.

والثالث: إنّ سند خبر نزولها في أبي بكر غير معتبر، قال الحافظ الهيثمي:

«وعن عبدالله بن الزبير، قال: نزلت في أبي بكر الصدّيق: ﴿**وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تجزىٰ * إلّا ابتغاء وجه ربّه الأعلىٰ * ولسوف يرضىٰ**﴾[١١].

رواه الطبراني، وفيه: مصعب بن ثابت. وفيه ضعف»[١٢].

قلت:

وهذا الرجل هو: مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير؛ ولاحظ الكلمات في تضعيفه بترجمته[١٣].

هذا بالنسبة إلىٰ أبي بكر.

وأمّا عمر وعثمان، فلم يزعموا نزول شيء فيهما من القرآن...

٥ ـ بل لو تتبّعت كتبهم في مختلف العلوم لوجدت للقوم مثالب في القرآن الكريم، ونحن الآن في غنىً عن التعرّض لمثل هذه الأُمور، غير أنّا نشير إلىٰ أنّ نزول قوله تعالىٰ: ﴿**يا أيّها النبيُّ لِم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلّة**

---

(١٠) الدرّ المنثور ٦/٣٥٨.

(١١) سورة الليل ٩٢: ١٩ ـ ٢١.

(١٢) مجمع الزوائد ٩/٥٠.

(١٣) تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤.

أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذْ أسرَّ النبيُّ إلىٰ بعض أزواجه حديثاً فلمّا نبّأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلمّا نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير * إنْ تتوبا إلىٰ الله فقد صغت قلوبكما وإنْ تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسىٰ ربّه إنْ طلّقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات ...﴾[١٤] في عائشة وحفصة مذكور في أشهر كتب القوم من الصحاح وغيرها، فراجع إن شئت:

مسند أحمد بن حنبل ١/٣٣.

صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب في موعظة الرجل ابنته.

صحيح البخاري: كتاب التفسير، بتفسير الآية: **﴿تبتغي مرضات أزواجك﴾**.

صحيح مسلم: كتاب الرضاع، باب في الإيلاء وآعتزال النساء.

صحيح الترمذي ٢/٢٣١.

صحيح النسائي ٢/١٤٠.

وفي هذا القدر كفاية، لتعلم أنّ القصّة التي أوردها الشيخ محسن الكاشاني مذكورة في كتبهم، ولتعرف من المتقوّل المفتري!!

وبعد المقدّمة، وقبل الورود في (تشييد المراجَعات) نقول:

لقد كان ابن تيميّة ـ كما أشرنا من قبل ـ قدوةً للمكابِرين من بعده، فهم متىٰ ما أعوزهم الدليل، وعجزوا عن المناقشة، لجأوا إلىٰ كلماته المضطربة المتهافتة، التي لا علاقة لها بالمطلب، ولا أساس لها من الصحّة... ومِن ذلك هذا المورد، وبيان ذلك بإيجاز هو:

---

(١٤) سورة التحريم ٦٦: ١ ـ ٥.

إنّ المقام ليس مقام البحث عن المناهج التفسيرية عند هذه الفرقة أو تلك، وإنّما المقصود ذِكر الأخبار والأقوال الواردة في كتب أهل السُنّة المعروفة، في طائفة من آيات الكتاب النازلة في حقّ أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام... فهذا هو المقصود.

وأمّا أنّ منهج الشيعة في التفسير ما هو؟ ومنهج غيرهم ما هو؟ وأيّ منهما هو الصحيح؟ فتلك بحوث تطرح في محلّها.

ثمّ إنّ للشيعي أنْ يقول نفس هذا الكلام الذي قاله القائل، فيقول: «إنّ الدارس للفِرق والمذاهب... ولكنّ الفرق بين أصحاب الآراء الصحيحة التي لا تخالف الأُصول الإسلاميّة، وبين غيرهم من أصحاب المذاهب المبتدعة...».

لكنْ مَن هم «أصحاب الآراء الصحيحة»؟! ومَن هم «أصحاب المذاهب المبتدعة»؟!

فنحن نقول: إنّ «أصحاب الآراء الصحيحة» في فهم القرآن الكريم، هم أتباع الأئمّة الطاهرين من أهل البيت، كالإمامين الباقر والصادق عليهما السلام...

وإنّ «أصحاب المذاهب المبتدعة» هم: عكرمة البربري... وأمثاله.

وسنفصّل الكلام في التعريف بعكرمة وأمثاله على ضوء كلمات أهل السُنّة.

وعلى الجملة: فإنّ السيّد ـ رحمه الله ـ لم يستدلّ في بحوثه هذه بالآيات الكريمة على «منهج الشيعة في التفسير»، وإنّما استدلّ بروايات أهل السُنّة وأقوال مفسّريهم المشاهير على ما هو «منهج البحث والمناظرة».

وتعرّض هذا القائل هنا لمسألة «تحريف القرآن».. وهذه أيضاً لا علاقة

لها بالبحث ، وإنّما الغرض من ذِكرها هنا تشويش ذهن القارئ وتشويه مذهب الشيعة ، ونحن نحيل القارئ المنصف إلىٰ كتابنا المطبوع المنتشر في الموضوع وهو : «التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف»[١٥] ليظهر له رأينا في المسألة ، ويتبيّن له مَن القائل بالتحريف !

فلنشرع في (تشييد المراجَعات) : في (حجج الكتاب) :

---

(١٥) نشر أوّلاً في حلقات في مجلّة تراثنا ، في الأعداد ٦ ـ ١٤ ، ثمّ نشرته مؤسّسة دار القرآن الكريم في ٣٧١ صفحة ، ولعلّه خير كتابٍ أُخرج للناس في موضوعه .

آية التطهير

قال السيّد ،

مخاطباً الشيخ سليم البشري :

«إنّكم ـ بحمد الله ـ ممّن وسعوا الكتاب علماً ، وأحاطوا بجليّه وخفيّه خبراً ، فهل نزل من آياته الباهرة في أحدٍ ما نزل في العترة الطاهرة ؟! هل حكمت محكماته بذهاب الرجس عن غيرهم ؟! وهل لأحدٍ من العالمين كآية تطهيرهم ؟!» .

أقول :

هذه الآية المباركة هي قوله تعالىٰ : **﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾**[١٦] .

وقد استدلّ بها أصحابنا ـ تبعاً لأئمّة العترة الطاهرة ـ علىٰ عصمة «أهل البيت» ومن ثمّ فهي من أدلّة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة الطاهرين بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

وقد كابر بشأنها الخوارج ، والنواصب ، والمخالفون لـ «أهل البيت» منذ اليوم الأوّل ، وإلىٰ يومنا هذا ... ولذا كانت هذه الآية موضع البحث والتحقيق ، والأخذ والردّ ، وكُتبت حولها الكتب والدراسات الكثيرة[١٧] .

---

(١٦) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(١٧) ولنا فيها كتاب ردّاً علىٰ كتيّب للدكتور علي أحمد السالوس ، أسماه : «آية التطهير بين أُمّهات المؤمنين وأهل الكساء» وهو تحت الطبع وسيصدر قريباً بإذن الله ... وهناك التفصيل الأكثر .

ونحن نذكر وجه الاستدلال، ولينظر الناظرون هل هو «ضمن دائرة التمسّك بالكتاب والسُنّة».. أو لا؟!

وهذه هي الأقوال في المسألة نقلاً عن أحد المتعصّبين ضدّ الشيعة الإماميّة:

«وفي المراد بأهل البيت ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّهم نساء رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم، لأنّهنّ في بيته. رواه سعيد بن جبير عن ابن عبّاس. وبه قال عكرمة وابن السائب ومقاتل. ويؤكّد هذا القول أنّ ما قبله وما بعده متعلّق بأزواج رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم. وعلىٰ أرباب هذا القول اعتراض، وهو: إنّ جمع المؤنّث بالنون فكيف قيل (عنكم) و(يطهّركم)؟ فالجواب: إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم فيهنّ فغلّب المذكّر.

والثاني: إنّه خاصّ في: رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين. قاله أبو سعيد الخدري، وروي عن: أنس وعائشة وأُمّ سلمة نحو ذلك.

والثالث: إنّهم أهل رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وأزواجه، قاله الضحّاك»[١٨].

فهذه عبارة الحافظ ابن الجوزي..

فالقائل باختصاص الآية بالرسول وبضعته ووصيّه وسبطيه عليهم الصلاة والسلام، هم جماعة من الصحابة، وعلىٰ رأسهم: أُمّ سلمة وعائشة... من زوجاته...

---

(١٨) زاد المسير في علم التفسير ـ للحافظ ابن الجوزي، المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ ـ ٦/ ٣٨١ ـ ٣٨٢.

وعلىٰ رأس القائلين بكونها خاصّة بالأزواج : عكرمة البربري . . . لِما سيأتي من أنّ ابن عبّاس من القائلين بالقول الثاني .

أمّا القول الثالث فلم يحكه إلّا عن الضحّاك !

فمن هُم «أصحاب الآراء الصحيحة» ؟! ومن هم «أصحاب البدع والأهواء» ؟!

ولماذا أعرض الّذين ادّعوا أنّهم «كانوا تابعين لِما تدلّ عليه معاني القرآن الكريم ، موضّحين لدلالات ألفاظه كما فهمها سلف الأُمّة وعلماؤها ، وكما فسّرها الرسول صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان» عن قول أُمّ سلمة وعائشة وجماعةٍ من كبار الصحابة ومشاهيرهم ـ كما سيجيء ـ وأخذوا بقول «عكرمة» الذي ستعرفه ، وأمثاله ؟!

وأمّا تفصيل المطلب ، ففي فصول :

الفصل الأوّل
في تعيين النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم قولاً وفعلاً
المراد من «أهل البيت»

فقد أخرج جماعة من كبار الأئمّة والحفّاظ والأئمّة حديث الكساء، الصريح في اختصاص الآية المباركة بالرسول وأهل بيته الطاهرين عليهم الصلاة والسلام، عن عشراتٍ من الصحابة:

من الصحابة الرواة لحديث الكساء:

ونحن نذكر عدّةً منهم فقط:

١ ـ عائشة بنت أبي بكر.

٢ ـ أُمّ سلمة زوجة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.

٣ ـ عبدالله بن العبّاس.

٤ ـ سعد بن أبي وقّاص.

٥ ـ أبو الدرداء.

٦ ـ أنس بن مالك.

٧ ـ أبو سعيد الخدري.

٨ ـ واثلة بن الأسقع.

٩ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري.

١٠ ـ زيد بن أرقم.

١١ ـ عمر بن أبي سلمة.

١٢ ـ ثوبان مولىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.

من الأئمّة الرواة لحديث الكساء:

ونكتفي بذِكر أشهر المشاهير منهم:

١ ـ أحمد بن حنبل، المتوفّىٰ سنة ٢٤١.

٢ ـ عبد بن حميد الكشّي، المتوفّىٰ سنة ٢٤٩.

٣ ـ مسلم بن الحجّاج، صاحب الصحيح، المتوفّىٰ سنة ٢٦١.

٤ ـ أبو حاتم محمّد بن إدريس الرازي، المتوفّىٰ سنة ٢٧٧.

٥ ـ أحمد بن عبد الخالق البزّار، المتوفّىٰ سنة ٢٩٢.

٦ ـ محمّد بن عيسىٰ الترمذي، المتوفّىٰ سنة ٢٩٧.

٧ ـ أحمد بن شعيب النسائي، المتوفّىٰ سنة ٣٠٣.

٨ ـ أبو عبدالله محمّد بن عليّ الحكيم الترمذي.

٩ ـ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، المتوفّىٰ سنة ٣١٠.

١٠ ـ عبد الرحمٰن بن محمّد بن إدريس الرازي، الشهير بابن أبي حاتم، المتوفّىٰ سنة ٣٢٧.

١١ ـ سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفّىٰ سنة ٣٦٠.

١٢ ـ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المتوفّىٰ سنة ٤٠٥.

١٣ ـ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، المتوفّىٰ سنة ٤٣٠.

١٤ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفّىٰ سنة ٤٥٨.

١٥ ـ أبو بكر أحمد بن عليّ، المعروف بالخطيب البغدادي، المتوفّىٰ سنة ٤٦٣.

١٦ ـ أبو السعادات المبارك بن محمّد، المعروف بابن الأثير، المتوفّىٰ

سنة ٦٠٦.

١٧ ـ شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي، المتوفّىٰ سنة ٧٤٨.

١٨ ـ جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، المتوفّىٰ سنة ٩١١.

من ألفاظ الحديث في الصحاح والمسانيد وغيرها:

وهذه نبذة من ألفاظ الحديث بأسانيدها[١٩]:

ففي المسند: «حدّثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا عبدالله بن نمير، قال: ثنا عبد الملك ـ يعني ابن أبي سليمان ـ، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدّثني من سمع أُمّ سلمة تذكر أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجَكِ وآبنيك.

قالت: فجاء عليٌّ والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو علىٰ منامة له علىٰ دكّان تحته كساء خيبري.

قالت: وأنا أُصلّي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به، ثمّ أخرج يده فألوىٰ بها إلىٰ السماء ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟

---

(١٩) نعم، هذه نبذة من الروايات، إذ لم نورد كلّ ما في المسند أو المستدرك أو غيرهما، بل لم نورد شيئاً من تفسير الطبري وقد أخرجه من أربعة عشر طريقاً، ولا من كثير من المصادر المعتبرة في التفسير والحديث وتراجم الصحابة وغيرها.

قال : إنّكِ إلىٰ خير ، إنّكِ إلىٰ خير .

قال عبد الملك : وحدّثني أبو ليلىٰ عن أُمّ سلمة مثل حديث عطاء سواء .

قال عبد الملك : وحدّثني داود بن أبي عوف الجحّاف ، عن[٢٠] حوشب ، عن أُمّ سلمة بمثله سواء»[٢١] .

وفي المسند : «حدّثنا عبدالله ، حدّثني أبي ، ثنا عفّان ، ثنا حمّاد بن سلمة ، قال : ثنا عليّ بن زيد ، عن شهر بن حوشب ، عن أُمّ سلمة : أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم قال لفاطمة : ائتيني بزوجِكِ وآبنيك ؛ فجاءت بهم ، فألقىٰ عليهم كساءً فدكيّاً .

قال : ثمّ وضع يده عليهم ثمّ قال : اللّهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد ، فاجعل صلواتك وبركاتك علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد ، إنّك حميد مجيد .

قالت أُمّ سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه من يدي وقال : إنكِ علىٰ خير»[٢٢] .

وفي المسند : «حدّثنا عبدالله ، حدّثني أبي ، ثنا يحيىٰ بن حمّاد ، ثنا أبو عوانة ، ثنا أبو بلج ، ثنا عمرو بن ميمون ، قال : إنّي لجالس إلىٰ ابن عبّاس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عبّاس ، إمّا أن تقوم معنا وإمّا أنْ تخلونا هؤلاء .

قال : فقال ابن عبّاس : بل أقوم معكم .

قال : وهو يومئذٍ صحيح قبل أنْ يعمىٰ . قال : فاتّندوا فتحدّثوا ، فلا ندري ما قالوا .

---

(٢٠) كذا .

(٢١) مسند أحمد ٦/٢٩٢ .

(٢٢) مسند أحمد ٦/٣٢٣ .

قال : فجاء ينفض ثوبه ويقول : أُفٍّ وتفّ ، وقعوا في رجلٍ له عشر ، وقعوا في رجلٍ قال له النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم (فذكر مناقب لعليّ ، منها :) «وأخذ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ثوبه فوضعه علىٰ عليٍّ وفاطمة وحسن وحسين فقال : **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**»(٢٣) .

وفي صحيح مسلم : «حدّثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ومحمّد بن عبدالله ابن نمير ـ واللفظ لأبي بكر ـ قالا : حدّثنا محمّد بن بشر ، عن زكريّا ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة ، قالت : قالت عائشة : خرج النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم غداةً وعليه مرط مرجّل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ، ثمّ جاء الحسين فدخل معه ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله ، ثمّ قال : **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**»(٢٤) .

وفي جامع الأُصول : « ٦٦٨٩ ت ، أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : إنّ هذه الآية نزلت في بيتي : **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** قالت : وأنا جالسة عند الباب فقلت : يا رسول الله ، ألست من أهل البيت ؟ فقال : إنّكِ إلىٰ خير ، أنتِ من أزواج رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم .

قالت : وفي البيت : رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وعليٌّ وفاطمة وحسن وحسين ، فجلّلهم بكسائه وقال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهِب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً .

وفي رواية : إنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم جلّل علىٰ الحسن

---

(٢٣) مسند أحمد ١ / ٣٣٠ .

(٢٤) صحيح مسلم ٧ / ١٣٠ .

والحسين وعليٍ وفاطمة ، ثمّ قال : اللّهمّ هـؤلاء أهـل بـيتي وحـامّتي ، أذهِب عنهم الرجس وطـهّرهم تطهيراً .

قالت أُمّ سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : إنّكِ إلىٰ خير .

أخرج الترمذي الرواية الآخرة ، والأُولىٰ ذكرها رزين .

٦٦٩٠ ت ، عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ قال : نزلت هذه الآية علىٰ النبيّ صلّىٰ الله عـليه [وآله] وسـلّم : ﴿ **إنّـما يـريد الله ليـذهب عـنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾ في بيت أُمّ سلمة ، فدعا النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم فاطمة وحسناً وحسيناً ، فجلّلهم بكساءٍ وعـليٌ خـلف ظهره ، ثمّ قال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

قالت أُمّ سلمة : وأنا معهم يانبيَّ الله ؟

قال : أنتِ علىٰ مكانِكِ ، وأنتِ علىٰ خير .

أخرجه الترمذي .

٦٦٩١ ت ، أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم كان يمرّ بباب فاطمة إذا خرج إلىٰ الصلاة حين نزلت هذه الآية ، قريباً من ستّة أشهر ، يقول : الصلاةَ أهلَ البيت ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾ .

أخرجه الترمذي .

٦٦٩٢ م ، عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : خرج النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وعليه مرط مرجَّل أسود ، فـجاءه الحسـن فأدخـله ، ثـمّ جـاءه الحسين فأدخله ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ، ثمّ جاء عليٌ فأدخله ، ثمّ قـال : ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس** ﴾ الآية .

أخرجه مسلم»[٢٥].

وفي الخصائص : «أخبرنا محمّد بن المثنّى، قال: أخبرنا أبو بكر الحنفي، قال: حدّثنا بكر بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقّاص:

ما يمنعك أنْ تسبَّ ابن أبي طالب ؟!

قال: لا أسبّه ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، لَئِنْ يكون لي واحدة منهنَّ أحبّ إليّ من حمر النعم:

لا أسبّه ما ذكرت حين نزل الوحي عليه، فأخذ عليّاً وآبنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثمّ قال: ربِّ هؤلاء أهل بيتي وأهلي.

ولا أسبّه ما ذكرت حين خلّفه في غزوةٍ غزاها...

ولا أسبّه ما ذكرت يوم خيبر...»[٢٦].

وفي الخصائص : «أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخي وهشام بن عمّار الدمشقي، قالا: حدّثنا حاتم، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما يمنعك أنْ تسبَّ أبا تراب ؟!

فقال: أنا إن ذكرت ثلاثاً قالهنَّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فلن أسبّه، لئن يكون لي واحدة منها أحبّ إليَّ من حمر النعم:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول له، وخلّفه في بعض مغازيه...

وسمعته يقول يوم خيبر:...

ولمّا نزلت ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**

---

(٢٥) جامع الأُصول ١٠/١٠٠ ـ ١٠١.

(٢٦) خصائص عليّ: ٨١ طبعة النجف الأشرف.

ويطهّركم تطهيراً﴾ دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي»[٢٧] .

أقول :

أخرجه ابن حجر العسقلاني باللفظ الأوّل في «فتح الباري» بشرح حديث : «أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون . . .» فقال :

«ووقع في رواية عامر بن سعد بن أبي وقّاص عند مسلم والترمذي ، قال : قال معاوية لسعد : ما منعك أنْ تسبَّ أبا تراب ؟ !

قال : أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم فلنْ أسبّه ؛ فذكر هذا الحديث .

وقوله : لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّه الله ورسوله .

وقوله لمّا نزلت ﴿**فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم**﴾[٢٨] دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي»[٢٩] .

وهذا تحريفٌ للحديث ! إذ أُسقط أوّلاً : «فأدخلهم تحت ثوبه» ، ثمّ جُعلت الآية النازلة هي آية المباهلة لا آية التطهير ! فتأمّل .

وفي الخصائص : أخرج حديث عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس ، المتقدّم عن المسند[٣٠] .

وفي المستدرك : «حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب ، ثنا العبّاس بن محمّد الدوري ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا عبد الرحمٰن بن عبدالله بن دينار ، ثنا

---

(٢٧) خصائص عليّ : ٤٩ .

(٢٨) سورة آل عمران ٣ : ٦١ .

(٢٩) فتح الباري ـ شرح صحيح البخاري ٧ / ٦٠ .

(٣٠) خصائص عليّ : ٦٢ .

شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنّها قالت:

في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾، قالت: فأرسل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم إلىٰ عليّ وفاطمة والحسن والحسين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي.

قالت أُمّ سلمة: يا رسول الله، وأنا من أهل البيت؟

قال: إنّكِ أهلي خير[٣١]، وهؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أهلي أحقّ.

هذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرجاه.

حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب، أنبأ العبّاس بن الوليد بن مزيد: أخبرني أبي، قال: سمعت الأوزاعي يقول: حدّثني أبو عمّار، قال: حدّثني واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال: جئت عليّاً ـ رضي الله عنه ـ فلم أجده. فقالت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ: إنطلق إلىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يدعوه فاجلس، فجاء مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فدخل ودخلت معهما. قال: فدعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم حسناً وحسيناً فأجلس كلّ واحدٍ منهما علىٰ فخذه، وأدنىٰ فاطمة من حجره وزوجها، ثمّ لفّ عليهم ثوبه وأنا شاهد، فقال: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي.

هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه»[٣٢].

وفي تلخيص المستدرك: وافق الحاكم علىٰ التصحيح[٣٣].

---

(٣١) كذا.

(٣٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/٤١٦ كتاب التفسير.

(٣٣) تلخيص المستدرك ٢/٤١٦.

ورواه الذهبي بإسنادٍ له عن شهر بن حوشب عن أُمّ سلمة، وفيه: «قالت: فأدخلت رأسي فقلت: يا رسول الله، وأنا معكم؟

قال: أنتِ إلىٰ خير - مرّتين -».

ثمّ قال: «رواه الترمذي مختصراً وصحّحه من طريق الثوري، عن زبيد، عن شهر بن حوشب»[٣٤].

وفي الصواعق المحرقة: «الآية الأُولىٰ: قال الله تعالىٰ: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ أكثر المفسّرين علىٰ أنّها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين. لتذكير ضمير (عنكم) وما بعده»[٣٥].

ممّن نصَّ علىٰ صحّة الحديث:

هذا، وقد قال جماعة من الأئمّة بصحّة الحديث الدالّ علىٰ اختصاص الآية الكريمة بأهل البيت عليهم السلام، إذ أخرجوه في الصحيح أو نصّوا علىٰ صحّته، ومن هؤلاء:

١ - أحمد بن حنبل. بناءً علىٰ التزامه بالصحّة في «المسند».

٢ - مسلم بن الحجّاج، إذ أخرجه في (صحيحه).

٣ - ابن حبّان، إذْ أخرجه في (صحيحه).

٤ - الحاكم النيسابوري، إذ صحّحه في «المستدرك».

٥ - الذهبي، إذ صحّحه في «تلخيص المستدرك» تبعاً للحاكم.

٦ - ابن تيميّة، إذ قال: «فصل - وأمّا حديث الكساء فهو صحيح، رواه

---

(٣٤) سير أعلام النبلاء ١٠/٣٤٦.

(٣٥) الصواعق المحرقة: ٨٥.

أحمد والترمذي من حديث أُمّ سلمة، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة . . .»[٣٦].

ما دلّت عليه الأحاديث:

وهذه الأحاديث الواردة في الصحاح والمسانيد ومعاجم الحديث، بأسانيد صحيحة متكاثرة جدّاً، أفادت نقطتين:

أوّلاً: إنّ المراد بـ «أهل البيت» في الآية المباركة هم: النبيُّ وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لا يشركهم أحد، لا من الأزواج ولا من غيرهنّ مطلقاً.

أمّا الأزواج، فلأنّ الأحاديث نصّت على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يأذن بدخول واحدةٍ منهنّ تحت الكساء.

وأمّا غيرهنّ، فلأنّ النبيّ إنّما أمر فاطمة بأنْ تجيء بزوجها وولديها فحسب، فلو أراد أحداً غيرهم ـ حتّى من الأُسرة النبويّة ـ لأمر بإحضاره.

وثانياً: إنّ الآية المباركة نزلت في واقعةٍ معيَّنة وقضيّةٍ خاصّة، ولا علاقة لها بما قبلها وما بعدها . . . ولا ينافيه وضعها بين الآيات المتعلّقة بنساء النبيّ، إذ ما أكثر الآيات المدنية بين الآيات المكّيّة وبالعكس، ويشهد بذلك:

١ ـ مجيء الضمير: «عنكم» و«يطهّركم» دون: عنكنّ ويطهّركنّ.

٢ ـ إتّصال الآيات التي بعد آية التطهير بالتي قبلها، بحيث لو رفعت آية التطهير لم يختلّ الكلام أصلاً . . . فليست هي عجزاً لآية ولا صدراً لأُخرى . . . كما لا يخفى.

---

(٣٦) منهاج السُنّة ٥/١٣.

ثمّ ما ألطف ما جاء في الحديث جواباً لقول أُمّ سلمة : «ألستُ من أهل البيت ؟» قال : «أنتِ من أزواج رسول الله»!! فإنّه يعطي التفصيل مفهوماً ومصداقاً بين العنوانين : عنوان «أهل البيت» وعنوان «الأزواج» أو «نساء النبيّ» .

فتكون الآيات المبدوءة ـ في سورة الأحزاب ـ بـ: ﴿ **يا نساء النبيّ** ﴾[٣٧] خاصّةً بـ«الأزواج» والآية ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ خاصّةً بالعترة الطاهرة .

وحديث مروره صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بباب فاطمة وقوله : الصلاة أهل البيت ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾ .. رواه كثيرون كذلك لا نطيل بذِكر رواياته .

* * *

(٣٧) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٢ .

الفصل الثاني
في سقوط القولَين الآخَرَين

وبهذه الأحاديث الصحيحة المتّفق عليها بين المسلمين يسقط القولان الآخَران، لأنّ المفروض أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فسّر بنفسه ـ قولاً وفعلاً ـ الآية المباركة، وعيّن من نزلت فيه، فلا يُسمع ـ والحال هذه ـ ما يخالف تفسيره كائناً من كان القائل، فكيف والقائل بالقول الأوّل هو «عكرمة»؟!

وقد كان هذا الرجل أشدُّ الناس مخالفةً لنزول الآية في العترة الطاهرة فقط.

فقد حكي عنه أنّه كان ينادي في الأسواق بنزولها في زوجات النبيّ فقط[٣٨] وأنّه كان يقول: «من شاء باهلته أنّها نزلت في نساء النبيّ خاصّة»[٣٩].

وقد كان القول بنزولها في العترة هو الرأي الذي عليه المسلمون، كما يبدو من هذه الكلمات، بل جاء التصريح به في كلامه حيث قال: «ليس بالذي تذهبون إليه، إنّما هو نساء النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم»[٤٠].

إلّا أنّ من غير الجائز الأخذ بقول عكرمة في هذا المقام وأمثاله!

* * *

(٣٨) تفسير الطبري ، تفسير ابن كثير ٣/٤١٥، أسباب النزول: ٢٦٨.
(٣٩) الدرّ المنثور ٥/١٩٨، تفسير ابن كثير ٣/٤١٥.
(٤٠) الدرّ المنثور ٥/١٩٨.

ترجمة عكرمة :

فإنّ عكرمة البربري من أشهر الزنادقة الّذين وضعوا الأحاديث للطعن في الإسلام ! وإليك طرفاً من تراجمه في الكتب المعتبرة المشهورة[٤١] :

١ ـ طعنه في الدِين :

لقد ذكروا أنّ هذا الرجل كان طاعناً في الإسلام ، مستهزئاً بالدِين ، من أعلام الضلالة ودعاة السوء .

فقد نقلوا عنه أنّه قال : إنّما أنزل الله متشابه القرآن ليضلّ به !

وقال في وقت الموسم : وددت أنّي اليوم بالموسم وبيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً !

وأنّه وقف علىٰ باب مسجد النبيّ وقال : ما فيه إلّا كافر !

وذكروا أنّه كان لا يصلّي ، وأنّه كان في يده خاتم من الذهب ، وأنّه كان يلعب بالنرد ، وأنّه كان يستمع الغناء .

٢ ـ كان من دعاة الخوارج :

وأنّه إنّما أخذ أهل أفريقية رأي الصفرية ـ وهم من غلاة الخوارج ـ منه ، وقد ذكروا أنّه نحل ذلك الرأي إلىٰ ابن عبّاس !

وعن يحيىٰ بن معين : إنّما لم يذكر مالك عكرمة ، لأنّ عكرمة كان

---

(٤١) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٨٧ ، الضعفاء الكبير ٣ / ٣٧٣ ، تهذيب الكمال ٢٠ / ٢٦٤ ، وفيات الأعيان ١ / ٣١٩ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٩٣ ، المغني في الضعفاء ٢ / ٨٤ ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٩ ، تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٣ ـ ٢٧٣ .

ينتحل رأي الصفرية .

وقال الذهبي : قد تكلّم الناس في عكرمة ، لأنّه كان يرىٰ رأي الخوارج .

٣ ـ كان كذّاباً :

كذب علىٰ سيّده ابن عبّاس حتّىٰ أوثقه عليٌّ بن عبدالله بن عبّاس علىٰ باب كنيف الدار . فقيل له : أتفعلون هذا بمولاكم ؟ ! قال : إنّ هذا يكذب علىٰ أبي .

وعن سعيد بن المسيّب ، أنّه قال لمولاه : يا برد ، إيّاك أن تكذب علَيَّ كما يكذب عكرمة علىٰ ابن عبّاس .

وعن ابن عمر ، أنّه قال لمولاه : اتّقِ الله ، ويحك يا نافع ، لا تكذب علَيَّ كما كذب عكرمة علىٰ ابن عبّاس .

وعن القاسم : إنّ عكرمة كذّاب .

وعن ابن سيرين ويحيىٰ بن معين ومالك : كذّاب .

وعن ابن ذويب : كان غير ثقة .

وحرّم مالك الرواية عنه .

وأعرض عنه مسلم بن الحجّاج .

وقال محمّد بن سعد : ليس يُحتجّ بحديثه .

٤ ـ ترك الناس جنازته :

ولهذه الأُمور وغيرها ترك الناس جنازته ؛ قيل : فما حمله أحد ، حتّىٰ آكتروا له أربعة رجال من السودان .

* * *

ترجمة مقاتل :

ومقاتل حاله كحال عكرمة ، فقد أدرجه كلٌّ من : الدارقطني ، والعقيلي ، وآبن الجوزي ، والذهبي في (الضعفاء) . . . وتكفينا كلمة الذهبي : «أجمعوا علىٰ تركه»[٤٢] .

ترجمة الضحّاك :

وأمّا القول الآخر فقد عزاه ابن الجوزي إلىٰ الضحّاك بن مزاحم فقط :

وهذا الرجل أدرجه ابن الجوزي نفسه كالعقيلي في (الضعفاء) وتبعهما الذهبي فأدرجه في «المغني في الضعفاء» . . . ونفوا أنْ يكون لقي ابن عبّاس ، بل ذكر بعضهم أنّه لم يشافه أحداً من أصحاب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

وعن يحيىٰ بن سعيد : كان الضحّاك عندنا ضعيفاً .

قالوا : وكانت أُمّه حاملاً به سنتين![٤٣] .

هذا ، ولكنْ في نسبة هذا القول ـ كنسبة القول الأوّل إلىٰ ابن السائب الكلبي ـ كلامٌ ، فقد نُسب إليهما القول باختصاص الآية بالخمسة الأطهار في المصادر وهو الصحيح ، كما حقّقنا ذلك في الردّ علىٰ السالوس .

* * *

(٤٢) سير أعلام النبلاء ٧/٢٠١ .

(٤٣) تهذيب الكمال ١٣/٢٩١ ، ميزان الاعتدال ٢/٣٢٥ ، المغني في الضعفاء ١/٣١٢ .

الفصل الثالث
في دلالة الآية المباركة على عصمة أهل البيت

وكما أشرنا من قبل، فإنّ أصحابنا يستدلّون بالآية المباركة ـ بعد تعيين المراد بأهل البيت فيها بالأحاديث المتواترة بين الفريقين ـ على عصمة أهل البيت... وقد جاء ذِكر وجه الاستدلال لذلك مشروحاً في كتبهم في العقائد والإمامة، وفي تفاسيرهم بذيل الآية المباركة، ويتلخّص في النقاط التالية:

١ ـ «إنّما» تفيد الحصر، فالله سبحانه حصر إرادة إذهاب الرجس عنهم.

٢ ـ «الإرادة» في الآية الكريمة تكوينية، من قبيل الإرادة في قوله تعالى: ﴿**إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾[٤٤] لا تشريعية من قبيل الإرادة في قوله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾[٤٥]، لأنّ التشريعية تتنافى مع نصّ الآية بالحصر، إذ لا خصوصيّة لأهل البيت في تشريع الأحكام لهم.

وتتنافى مع الأحاديث، إذ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم طبّق الآية عليهم دون غيرهم.

٣ ـ «الرجس» في الآية هو «الذنوب».

وتبقى شبهة: إنّ الإرادة التكوينية تدلّ على العصمة، لأنّ تخلّف المراد عن إرادته عزّ وجلّ محال، لكنّ هذا يعني الالتزام بالجبر وهو ما لا تقول

---

(٤٤) سورة يس ٣٦: ٨٢.

(٤٥) سورة البقرة ٢: ١٨٥.

الإمامية بـه .

وقد أجاب علماؤنا عـن هـذه الشـبهة ـ بـناءً عـلىٰ نـظرية : لا جـبر ولا تفويض ، بل أمرٌ بين الأمرين ـ بما حاصله :

إنّ مفاد الآية أنّ الله سبحانه لمّا علم أنّ إرادة أهل البيت تـجري دائـماً علىٰ وفق ما شرّعه لهم من التشريعات ، لِما هم عليه من الحالات المـعنوية العالية ، صحَّ له تعالىٰ أنْ يخبر عن ذاته المقدَّسة أنّـه لا يـريد لهـم بـإرادتـه التكوينية إلّا إذهاب الذنوب عنهم ، لأنّه لا يُوجد من أفـعالهم ، ولا يُـقدرهم إلّا عـلىٰ هكـذا أفـعالٍ يـقومون بـها بـإرادتـهم لغـرض إذهـاب الرجس عـن أنفسـهم . . .

ثمّ إنّه لولا دلالة الآية المباركة علىٰ هذه المنزلة العظيمة لأهل البـيت ، لَما حـاول أعـداؤهـم مـن الخـوارج والنـواصب إنكـارها ، بـل ونسـبتها إلىٰ غيرهم ، مع أنّ أحداً لم يدّعِ ذلك لنفسه سواهم .

* * *

الفصل الرابع
في تناقضات علماء السُنّة تجاه معنىٰ الآية

وجاء العلماء.. وهم يعلمون بمدلول الآية المباركة ومفاد الأحاديث الصحيحة الواردة بشأنها. وهُم من جهة لا يريدون الاعتراف بذلك، لأنّه في الحقيقة نسفٌ لعقائدهم في الأُصول والفروع... ومن جهةٍ أُخرىٰ ينسبون أنفسهم إلىٰ «السُنّة» ويدّعون الأخذ بها والاتّباع لها... فوقعوا في اضطرابٍ، وتناقضت كلماتهم فيما بينهم، بل تناقضت كلمات الواحد منهم...

فمنهم من وافق الإماميّة، بل ـ في الحقيقة ـ تبع السُنّة النبوية الثابتة في المقام وأخذ بها.

ومنهم من وافق عكرمة الخارجي ومقاتل المجمَع علىٰ تركه.

ومنهم من أخذ بقول الضحّاك الضعيف، خلافاً لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وكبار الصحابة.

فهم علىٰ طوائف ثلاث:

ونحن نذكر من كلّ طائفة واحداً أو اثنين:

فمن الطائفة الأُولىٰ:

أبو جعفر الطحاوي[٤٦] قال: «باب بيان مشكل ما روي عن

---

(٤٦) أبو جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة المصري الحنفي ـ المتوفّىٰ سنة ٣٢١هـ ـ توجد ترجمته مع الثناء البالغ في: طبقات أبي إسحاق الشيرازي: ١٤٢، والمنتظم ٦/ ٢٥٠، ووفيات الأعيان ١/ ٧١، وتذكرة الحفّاظ ٣/ ٨٠٨،

رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في المراد بقوله تعالىٰ: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ مَن هم؟

حدّثنا الربيع المرادي، حدّثنا أسد بن موسىٰ، حدّثنا حاتم بن إسماعيل، حدّثنا بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: لمّا نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي.

فكان في هذا الحديث أنّ المراد بما في هذه الآية هم: رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وعليٌّ وفاطمة وحسن وحسين.

حدّثنا فهد، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن جعفر، عن عبد الرحمٰن البجلي، عن حكيم بن سعيد، عن أُمّ سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وعليٍّ وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾.

ففي هذا الحديث الذي في الأوّل».

ثمّ إنّه أخرج بأسانيد عديدة هذا الحديث عن أُمّ سلمة، وفيها الدلالة الصريحة علىٰ اختصاص الآية بأهل البيت الطاهرين، وهي الأحاديث التي جاء فيها أنّ أُمّ سلمة سألت: «وأنا معهم؟» فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله

والجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ١/١٠٢، وغاية النهاية في طبقات القرّاء ١/١١٦، وحسن المحاضرة وطبقات الحفّاظ: ٣٣٧، وغيرها.

وقد عنونه الحافظ الذهبي بقوله: «الطحاوي الإمام العلّامة، الحافظ الكبير، محدّث الديار المصرية وفقيهها» قال: «ذكره أبو سعيد ابن يونس فقال: عداده في حجر الأزد، وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً لم يخلّف مثله» قال الذهبي: «قلت: من نظر في تواليف هذا الإمام علم محلّه من العلم وسعة معارفه...» سير أعلام النبلاء ١٥/٢٧ ـ ٣٢.

وسلّم : «أنتِ من أزواج النبيّ ، وأنتِ على خير ـ أو : إلى خير ـ» .

وقالت : «فقلت : يا رسول الله ، أنا من أهل البيت ؟ فقال : إنّ لكِ عند الله خيراً . فوددت أنّه قال نعم ، فكان أحبّ إليَّ ممّا تطلع عليه الشمس وتغرب» .

وقالت : «فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه رسول الله وقال : إنّكِ على خير» .

قال الطحاوي : «فدلَّ ما روينا من هذه الآثار ـ ممّا كان من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أُمّ سلمة ـ ممّا ذكرنا فيها لم يرد به أنّها كانت ممّا أُريد به ممّا في الآية المتلوّة في هذا الباب ، وأنّ المراد بما فيها هم : رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين دون مَن سواهم ـ يدلّ على مراد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله لأُمّ سلمة في هذه الآثار مِن قوله لها : (أنتِ من أهلي) :

ما قد حدّثنا محمّد بن الحجّاج الحضرمي وسليمان الكيساني ، قالا : حدّثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، أخبرني أبو عمّار ، حدّثني واثلة . . . فقلت : يا رسول الله ، وأنا من أهلك ؟ فقال : وأنتَ من أهلي .

قال واثلة : فإنّها مِن أرجى ما أرجو !

وواثلة أبعد منه عليه السلام مِن أُمّ سلمة منه ، لأنّه إنّما هو رجل من بني ليث ، ليس من قريش . وأُمّ سلمة موضعها من قريش موضعها الذي هي به منه .

فكان قوله لواثلة : أنتَ من أهلي ، على معنى : لاتّباعك إيّاي وإيمانك بي ، فدخلت بذلك في جملتي .

وقد وجدنا الله تعالى قد ذكر في كتابه ما يدلّ على هذا المعنى بقوله :

﴿ونادىٰ نوح ربّه فقال ربِّ إنّ ابني من أهلي﴾[٤٧] فأجابه في ذلك بأنْ قال: ﴿إنّه ليس من أهلك﴾[٤٨] إنّه يدخل في أهله من يوافقه علىٰ دينه وإنْ لم يكن من ذوي نسبه.

فمثل ذلك أيضاً ما كان من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم جواباً لأُمّ سلمة: «أنتِ من أهلي» يحتمل أن يكون علىٰ هذا المعنىٰ أيضاً، وأن يكون قوله ذلك كقوله مثله لواثلة.

وحديث سعدٍ وما ذكرناه معه من الأحاديث في أوّل الباب معقول بها مَن أهل الآية المتلوّة فيها، لأنّا قد أحطنا علماً أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لمّا دعا مِن أهله عند نزولها لم يبق مِن أهلها المرادين فيها أحد سواهم، وإذا كان ذلك كذلك استحال أن يدخل معهم فيما أُريد به سواهم. وفيما ذكرنا من ذلك بيان ما وصفنا.

فإنْ قال قائل: فإنّ كتاب الله تعالىٰ يدلّ علىٰ أنّ أزواج النبيّ هم المقصودون بتلك الآية، لأنّه قال قبلها في السورة التي هي فيها: ﴿**يا أيّها النبيّ قل لأزواجك...**﴾[٤٩] فكان ذلك كلّه يؤذن به، لأنّه علىٰ خطاب النساء لا علىٰ خطاب الرجال، ثمّ قال: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس**﴾ الآية.

فكان جوابنا له: إنّ الذي تلاه إلىٰ آخر ما قبل قوله: ﴿**إنّما يريد الله**﴾ الآية.. خطاب لأزواجه، ثمّ أعقب ذلك بخطابه لأهله بقوله تعالىٰ: ﴿**إنّما يريد الله**﴾ الآية، فجاء به علىٰ خطاب الرجال، لأنّه قال فيه: ﴿**ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم**﴾ وهكذا خطاب الرجال، وما قبله فجاء

---

(٤٧) سورة هود ١١: ٤٥.

(٤٨) سورة هود ١١: ٤٦.

(٤٩) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٨.

به بالنون وكذلك خطاب النساء.

فعقلنا أنّ قوله: ﴿إنّما يريد الله﴾ الآية، خطاب لمن أراده من الرجال بذلك، ليعلمهم تشريفه لهم ورفعه لمقدارهم أن جعل نساءهم ممّن قد وصفه لِما وصفه به ممّا في الآيات المتلوّة قبل الذي خاطبهم به تعالىٰ.

وممّا دلّ علىٰ ذلك أيضاً ما حدّثنا... عن أنس: أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم كان إذا خرج إلىٰ صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إنّما يريد الله﴾ الآية.

وما قد حدّثنا... حدّثني أبو الحمراء، قال: صحبت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم...

في هذا أيضاً دليل علىٰ أنّ هذه الآية فيهم. وبالله التوفيق»[٥٠].

ومن الطائفة الثانية:

ابن الجوزي[٥١] والذهبي[٥٢].. فإنّهما تبعا عكرمة البربري الخارجي، ومقاتل بن سليمان، علىٰ ما هو مقتضىٰ تعصّبهما وعنادهما لأهل البيت عليهم السلام!

ومن الطائفة الثالثة:

ابن كثير.. فإنّه بعد أن ذكر فرية عكرمة قال: «فإنْ كان المراد أنّهنّ كنّ سبب النزول دون غيرهنّ، فصحيح؛ وإنْ أُريد أنّهنّ المراد فقط

---

(٥٠) مشكل الآثار ١/٣٣٢ ـ ٣٣٩.

(٥١) وهذا ظاهر كلامه في زاد المسير ٦/٣٨١، حيث ذكر هذا القول أوّلاً وجعل يدافع عنه!

(٥٢) سير أعلام النبلاء ٢/٢٠٧.

دون غيرهنّ ، ففي هذا نظر . فإنّه قد وردت أحاديث تدلّ علىٰ أنّ المراد أعمّ من ذلك» .

ثمّ أورد عدّةً كثيرة من تلك الأحاديث التي هي نصٌّ في اختصاص الآية بالرسول والوصيّ والحسنين والصدّيقة الطاهرة عليهم الصلاة والسلام ، وأنّ قول عكرمة مخالف للكتاب والسُنّة . . .

غير أنّ تعصّبه لم يسمح له بالإذعان لذلك ، حتّىٰ قال بدخول الزوجات في المراد بالآية ! متشبّثاً بالسياق ، فقال : «ثمّ الذي لا يشكّ فيه من تدبّر القرآن أنّ نساء النبي صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم داخلات في قوله تعالىٰ : **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** فإنّ سياق الكلام معهنّ . . .» [٥٣] .

اعتراف ابن تيميّة بصحّة الحديث :

والعجب أنّ ابن تيميّة لا يقول بهذا ولا بذاك ! بل يذعن بصحّة الحديث كما استدلّ العلّامة الحلّي ـ رحمه الله ـ ، قال العلّامة :

«ونحن نذكر هنا شيئاً يسيراً ممّا هو صحيح عندهم ، ونقلوه في المعتمد من قولهم وكتبهم ، ليكون حجّةً عليهم يوم القيامة ، فمن ذلك :

ما رواه أبو الحسن الأندلسي[٥٤] في «الجمع بين الصحاح الستّة» :

---

(٥٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤١٥ .

(٥٤) وهو : رزين بن معاوية العبدري ، صاحب «تجريد الصحاح» المتوفّىٰ سنة ٥٣٥ كما في سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢٠٤ حيث ترجم له ووصفه بـ : الإمام المحدِّث الشهير ، وحكىٰ عن ابن عساكر : «كان إمام المالكيّين بالحرم» . وترجم له أيضاً في : تذكرة الحفّاظ ٤ / ١٢٨١ ، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٤ / ٣٩٨ ، والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٦٧ ، ومرآة الجنان ٣ / ٢٦٣ ، وغيرها .

موطّأ مالك، وصحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وصحيح الترمذي، وصحيح النسائي: عن أُمّ سلمة ـ زوج النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أنّ قوله تعالىٰ: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ أُنزل في بيتها: وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ فقال: إنّكِ علىٰ خير، إنّكِ من أزواج النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.

قالت: وفي البيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، فجلّلهم بكساء وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

فقال ابن تيميّة:

«فصل: وأمّا حديث الكساء فهو صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أُمّ سلمة، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة، قال: خرج النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ذات غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾.

وهذا الحديث قد شركه فيه فاطمة وحسن وحسين ـ رضي الله عنهم ـ فليس هو من خصائصه، ومعلوم أنّ المرأة لا تصلح للإمامة، فعُلم أنّ هذه الفضيلة لا تختصّ بالأئمّة، بل يشركهم فيها غيرهم.

ثمّ إنّ مضمون هذا الحديث أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم دعا لهم بأنْ يُذهب عنهم الرجس ويطهّرهم تطهيراً.

وغاية ذلك أنْ يكون دعا لهم بأنْ يكونوا من المتّقين الّذين أذهب الله

عنهم الرجس وطهّرهم ؛ وآجتناب الرجس واجب علىٰ المؤمنين ، والطهارة مأمور بها كلّ مؤمن . .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكنْ يريد ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم** ﴾[٥٥] وقال : ﴿ **خذ من أموالهم صدقةً تطهّرهم وتزكّيهم بها** ﴾[٥٦] وقال تعالىٰ : ﴿ **إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين** ﴾[٥٧] .

فغاية هذا أنْ يكون هذا دعاءً لهم بفعل المأمور وترك المحظور ، والصدّيق ـ رضي الله عنه ـ قد أخبر الله عنه بأنّه ﴿ **الأتقىٰ * الذي يؤتي ماله يتزكّىٰ وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تجزىٰ * إلّا ابتغاء وجه ربّه الأعلىٰ ولسوف يرضىٰ** ﴾[٥٨] .

وأيضاً : فإنّ السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحسان ﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾[٥٩] لا بُدّ أنْ يكونوا قد فعلوا المأمور وتركوا المحظور ، فإنّ هذا الرضوان وهذا الجزاء إنّما يُنال بذلك ، وحينئذٍ فيكون ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الذنوب بعض صفاتهم .

فما دعا به النبيُّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم لأهل الكساء هو بعض ما وصف الله به السابقين الأوّلين .

والنبيُّ دعا لأقوامٍ كثيرين بالجنّة والمغفرة وغير ذلك ، ممّا هو أعظم من

---

(٥٥) سورة المائدة ٥ : ٦ .
(٥٦) سورة التوبة ٩ : ١٠٣ .
(٥٧) سورة البقرة ٢ : ٢٢٢ .
(٥٨) سورة الليل ٩٢ : ١٧ ـ ٢١ .
(٥٩) سورة التوبة ٩ : ١٠٠ .

الدعاء بذلك، ولم يلزم أن يكون مَن دعا له بذلك أفضل من السابقين الأوّلين، ولكنّ أهل الكساء لمّا كان قد أوجب عليهم اجتناب الرجس وفِعل التطهير، دعا لهم النبيُّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم بأنْ يعينهم علىٰ فِعل ما أمرهم به، لئلّا يكونوا مستحقّين للذمّ والعقاب، ولينالوا المدح والثواب»[٦٠].

هذا نصّ كلام ابن تيميّة، وأنت ترىٰ فيه:

١ ـ الاعتراف بصحّة الحديث الدالّ علىٰ نزول الآية المباركة في أهل الكساء دون غيرهم.

٢ ـ الاعتراف بأنّه فضيلة.

٣ ـ الاعتراف بعدم شمول الفضيلة لغير عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

فأين قول عكرمة؟! وأين السياق؟! وأين ما ذهب إليه ابن كثير؟!

سقوط كلمات ابن تيميّة:

وتبقىٰ كلمات ابن تيميّة، فإنّه بعد أن أعرض عن قول عكرمة، وعن قول من قال بالجمع، وآعترف بالاختصاص بالعترة، أجاب عن الاستدلال بالآية المباركة بوجوهٍ واضحة البطلان:

* فأوّل شيء قاله هو: «هذا الحديث قد شركه فيه فاطمة...».

وفيه: إنّ العلّامة الحلّي لم يدّع كون الحديث من خصائص عليٍّ عليه السلام، بل الآية المباركة والحديث يدلّان علىٰ عصمة «أهل البيت» وهم: النبيُّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين..

---

(٦٠) منهاج السُنّة ٥/١٣ ـ ١٥.

والمعصوم هو المتعيَّن للإمامة بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، غير أنّ المرأة لا تصلح للإمامة.

* ثمّ قال: «ثمّ إنّ مضمون هذا الحديث أنّ النبيّ دعا لهم... بأنْ يكونوا من المتّقين الّذين أذهب الله عنهم الرجس... فغاية هذا أن يكون هذا دعاءً لهم بفعل المأمور وترك المحظور».

وهذا من قلّة فهمه أو شدّة تعصّبه:

أمّا أوّلاً: فلأنّه ينافي صريح الآية المباركة، لأنّ «إنّما» دالّة علىٰ الحصر، وكلامه دالٌّ علىٰ عدم الحصر، فما ذكره ردٌّ علىٰ الله والرسول.

أمّا ثانياً: فلأنّ في كثيرٍ من «الصحاح» أنّ الآية نزلت، فدعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي... فالله عزّ وجلّ يقول: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...**﴾ والنبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يُعيّن «أهل البيت» وأنّهم هؤلاء دون غيرهم.

وأمّا ثالثاً: فلأنّه لو كان المراد هو مجرّد الدعاء لهم بأنْ يكونوا «من المتقين» و «الطهارة مأمور بها كلّ مؤمن» «فغاية هذا أن يكون دعاءً لهم بفعل المأمور وترك المحظور» فلا فضيلة في الحديث، وهذا يناقض قوله من قبل «فعُلم أنّ هذه الفضيلة...»!!

وأمّا رابعاً: فلأنّه لو كان «غاية ذلك أن يكون دعاءً لهم بفعل المأمور وترك المحظور» فلماذا لم يأذن لأُمّ سلمة بالدخول معهم؟!

أكانت «من المتّقين الّذين أذهب الله عنهم الرجس...» فلا حاجة لها إلىٰ الدعاء؟! أو لم يكن النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يريد منها أن تكون «من المتّقين...»؟!

وأمّا خامساً: فلو سلّمنا أنّ «غاية هذا أنْ يكون دعاءً لهم...» لكنْ إذا

كان الله سبحانه «يريد» والرسول «يدعو» ـ ودعاؤه مستجاب قطعاً ـ كان «أهل البيت» متّصفين بالفعل بما دلّت عليه الآية والحديث.

* فقال: «والصدّيق قد أخبر الله عنه...».

وحاصله: إنّ غاية ما كان في حقّ «أهل البيت» هو «الدعاء» وليس في الآية ولا الحديث إشارة إلىٰ «استجابة» هذا الدعاء، فقد يكون وقد لا يكون، وأمّا ما كان في حقّ «أبي بكر» فهو «الإخبار» فهو كائن، فهو أفضل من «أهل البيت»!!

وفيه:

أوّلاً: في «أهل البيت» في الآية شخص النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، ولا ريب في أفضليّته المطلقة.

وثانياً: في «أهل البيت» في الآية فاطمة الزهراء، وقد اعترف غير واحدٍ من أعلام القوم بأفضليّتها من أبي بكر:

فقد ذكر العلّامة المناوي بشرح الحديث المتّفق عليه بين المسلمين: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني»: «استدلّ به السهيلي[٦١] علىٰ أنّ من سبّها كفر، لأنّه يغضبه، وأنّها أفضل من الشيخين».

وقال: «قال الشريف السمهودي: ومعلوم أنّ أولادها بضعة منها، فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثَمَّ لمّا رأت أُمّ الفضل في النوم أنّ بضعةً منه وضعت في حجرها أوّلَها رسولُ الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم بأنْ تلد

---

(٦١) عبد الرحمٰن بن عبدالله، العلّامة الأندلسي، الحافظ العلم، صاحب التصانيف، برع في العربية واللغات والأخبار والأثر، وتصدّر للإفادة، من أشهر مؤلّفاته: الروض الأُنُف ـ شرح «السيرة النبوية» لابن هشام ـ توفّي سنة ٥٨١، له ترجمة في: مرآة الجنان ٣/٤٢٢، النجوم الزاهرة ٦/١٠١، العبر ٣/٨٢، الكامل في التاريخ ٩/١٧٢.

فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها. فكلّ مَن يشاهَد الآن من ذرّيّتها بضعة من تلك البضعة وإنْ تعدّدت الوسائط، ومن تأمّل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنّب بغضهم علىٰ أيّ حالٍ كانوا عليه.

قال ابن حجر: وفيه تحريم أذىٰ من يتأذّى المصطفىٰ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بتأذّيه، فكلّ من وقع منه في حقّ فاطمة شيء فتأذّت به فالنبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يتأذّىٰ بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذىٰ عليها من قِبل وُلْدها، ولهذا عرف بالاستقراء معاجلة من تعاطىٰ ذلك بالعقوبة في الدنيا ﴿ **ولعذاب الآخرة أشدّ** ﴾[٦٢]»[٦٣].

وثالثاً: في «أهل البيت» في الآية: الحسن والحسين، وإنّ نفس الدليل الذي أقامه الحافظ السهيلي وغيره علىٰ تفضيل الزهراء دليلٌ علىٰ أفضليّة الحسنين، بالإضافة إلىٰ الأدلّة الأُخرىٰ، ومنها «آية التطهير» و«حديث الثقلين» الدالّين علىٰ «العصمة»، ولا ريب في أفضليّة المعصوم من غيره.

ورابعاً: في «أهل البيت» في الآية: أمير المؤمنين عليه السلام، وهي ـ مع أدلّةٍ غيرها لا تحصىٰ ـ تدلّ علىٰ أفضليّته علىٰ جميع الخلائق بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.

وخامساً: كون المراد من الآية: ﴿ **الأتقىٰ** ... ﴾ «أبو بكر» هو قول انفرد القوم به، فلا يجوز أن يعارض به القول المتّفق عليه.

وسادساً: كون المراد بها «أبو بكر» أوّل الكلام، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك.

---

(٦٢) سورة طٰهٰ ٢٠: ١٢٧.

(٦٣) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ٤/ ٤٢١.

* قال : «وأيضاً : فإنّ السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار . . . فما دعا به النبيّ . . .» .

وحاصله : أفضليّة «السابقين الأوّلين . . .» من «أهل البيت» المذكورين .

ويرد عليه : ما ورد على كلامه السابق ، فإنّ هذا فرع أن يكون الواقع من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هو صِرف «الدعاء» . . وقد عرفتَ أنّ الآية تدلّ على أنّ الإرادة الإلٰهية تعلّقت بإذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم تطهيراً ، فهي دالّة على عصمة «أهل البيت» وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأعلن للأُمّة الإسلامية أنّهم : هو وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين .

ثمّ إنّ الآية : ﴿ **والسابقون الأوّلون . . .** ﴾[٦٤] المراد فيها أمير المؤمنين عليه السلام ، ويشهد بذلك تفسير قوله تعالى : ﴿ **والسابقون السابقون * أُولٰئك المقرَّبون** ﴾[٦٥] بعليٍّ عليه السلام .

فعن ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : «السُّبَّق ثلاثة ، السابق إلى موسى : يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى : صاحب ياسين ، والسابق إلى محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عليّ بن أبي طالب» .

قال الهيثمي : «رواه الطبراني ، وفيه : حسين بن حسن الأشقر ، وثّقه ابن حبّان ، وضعّفه الجمهور ، وبقيّة رجاله حديثهم حسن أو صحيح»[٦٦] .

قلت :

«الحسين بن حسن الأشقر» من رجال النسائي في (صحيحه) وقد

---

(٦٤) سورة التوبة ٩ : ١٠٠ .

(٦٥) سورة الواقعة ٥٦ : ١٠ و ١١ .

(٦٦) مجمع الزوائد ٩/١٠٢ .

ذكروا أنّ للنسائي شرطاً في صحيحه أشدّ من شرط الشيخين[٦٧] .. وقد روىٰ عنه كبار الأئمّة الأعلام : كأحمد بن حنبل ، وآبن معين ، والفلّاس ، وآبن سعد ، وأمثالهم[٦٨] .

وقد حكىٰ الحافظ بترجمته ، عن العقيلي ، عن أحمد بن محمّد بن هانئ ، قال : قلت لأبي عبدالله - يعني ابن حنبل - تُحدِّث عن حيسين الأشقر ؟! قال : لم يكن عندي ممّن يكذب .

وذكر عنه التشيّع فقال له العبّاس بن عبد العظيم : انّه يحدّث في أبي بكر وعمر . وقلت أنا : يا أبا عبدالله ! إنّه صنّف باباً في معايبهما . فقال : ليس هذا بأهلٍ أنْ يُحدَّث عنه»[٦٩] .

وكأنّ هذا هو السبب في تضعيف غير أحمد ، وعن الجوزجاني : غالٍ ، من الشتّامين للخِيَرة[٧٠] . ولذا يقولون : له مناكير ، وأمثال هذه الكلمة ممّا يدلّ علىٰ طعنهم في أحاديث الرجل في فضل عليٍّ أو الحطّ من مناوئيه ، وليس لهم طعن في الرجل نفسه ، ولذا قال ابن معين : كان من الشيعة الغالية . فقيل له : فكيف حديثه ؟! قال : لا بأس به . قيل : صدوق ؟ قال : نعم ، كتبت عنه[٧١] .

ومن هنا قال الحافظ : «الحسين بن حسن الأشقر ، الفزاري ، الكوفي ، صدوق ، يهمّ ويغلو في التشيّع ، من العاشرة ، مات سنة ٢٠٨ ، س»[٧٢] .

وأمّا أبو بكر .. فلم يكن من السابقين الأوّلين :

---

(٦٧) تذكرة الحفّاظ ٢ / ٧٠٠ .
(٦٨) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١ .
(٦٩) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢ .
(٧٠) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢ .
(٧١) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢ .
(٧٢) تقريب التهذيب ١ / ١٧٥ .

قال أبو جعفر الطبري : «وقال آخرون : أسلم قبل أبي بكر جماعة . ذكر من قال ذلك : حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا كنانة بن جبلة ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن الحجّاج بن الحجّاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمّد بن سعد ، قال : قلت لأبي :

أكان أبو بكر أوّلكم إسلاماً ؟

فقال : لا ؛ ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكنْ كان أفضلنا إسلاماً»(٧٣) .

تناقض ابن تيميّة :

ثمّ إنّ ابن تيميّة تعرض لآية التطهير في موضع آخر ، ولكنّه هذه المرّة لم ينصّ على صحّة الحديث ! ولم يعترف بمفاده ! بل ادّعى كون الأزواج من أهل البيت ! وهو القول الثالث الذي نسبه ابن الجوزي إلى الضحّاك بن مزاحم ، وهذه هي عبارته :

«وأمّا آية الطهارة فليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت وذهاب الرجس عنهم ، وإنّما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم ، فإنّ قوله : ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكنْ يريد ليطهّركم** ﴾ وقوله : ﴿ **يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الّذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أنْ يتوب عليكم ويريد الّذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً * يريد الله أن يخفّف عنكم وخُلق الإنسان ضعيفاً** ﴾(٧٤) .

---

(٧٣) تاريخ الطبري ٢ / ٣١٦ تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم .

(٧٤) سورة النساء ٤ : ٢٦ ـ ٢٨ .

فالإرادة هنا متضمّنة للأمر والمحبّة والرضا، وليست هي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد، فإنّه لو كان كذلك لكان قد طهّر كلّ مَن أراد طهارته. وهذا على قول هؤلاء القدرية الشيعة أوجَه، فإنّ عندهم أنّ الله يريد ما لا يكون! ويكون ما لا يريد!

فقوله: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ إذا كان هذا بفِعل المأمور وتَرك المحظور كان ذلك متعلّقاً بإرادتهم وأفعالهم، فإنْ فعلوا ما أُمروا به طُهّروا وإلّا فلا.

وهم يقولون: إنّ الله لا يخلق أفعالهم ولا يقدر على تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم، وأمّا المثبتون للقدر فيقولون: إنّ الله قادر على ذلك، فإذا ألهمهم فِعل ما أمر وترك ما حظر حصلت الطهارة وذهاب الرجس.

وممّا يُبيّن أنّ هذا ممّا أُمروا به لا ممّا أُخبروا بوقوعه: ما ثبت في الصحيح أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أدار الكساء على عليٍّ وفاطمة وحسن وحسين ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه عن عائشة، ورواه أهل السنن عن أُمّ سلمة.

وهو يدلّ على ضدّ قول الرافضة من وجهين:

أحدهما: أنّه دعا لهم بذلك. وهذا دليل على أنّ الآية لم تخبر بوقوع ذلك، فإنّه لو كان قد وقع لكان يثني على الله بوقوعه ويشكره على ذلك، ولا يقتصر على مجرّد الدعاء به.

الثاني: إنّ هذا يدلّ على أنّ الله قادر على إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم، وذلك يدلّ على أنّه خالق أفعال العباد.

وممّا يُبيّن أنّ الآية متضمّنة للأمر والنهي قوله في سياق الكلام: ﴿**يا نساء النبيّ من يأتِ منكنّ بفاحشةٍ... إنّما يريد الله ليذهب...**

وآذكرن ما يتلىٰ في بيوتكنَّ من آيات الله والحكمة إنّ الله كان لطيفاً خبيراً﴾ .

وهذا السياق يدلّ علىٰ أنّ ذلك أمر ونهي .

ويدلّ علىٰ أنّ أزواج النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم من أهل بيته ، فإنّ السياق إنّما هو في مخاطبتهنّ .

ويدلّ علىٰ أنّ قوله ﴿**ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ عمَّ غير أزواجه ، كعليّ وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم ، لأنّه ذكره بصيغة التذكير لمّا اجتمع المذكَّر والمؤنّث . وهؤلاء خُصّوا بكونهم من أهل البيت من أزواجه ، فلهذا خصّهم بالدعاء لمّا أدخلهم في الكساء ، كما أنّ مسجد قباء أُسّس علىٰ التقوىٰ ، ومسجده صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم أيضاً أُسّس علىٰ التقوىٰ وهو أكمل في ذلك . فلمّا نزل قوله تعالىٰ : ﴿**لمسجد أُسّس علىٰ التقوىٰ من أوّل/يوم . . .**﴾[٧٥] بسبب مسجد قباء تناول اللفظ لمسجد قباء ولمسجده بطريق الأَوْلىٰ .

وقد تنازع العلماء : هل أزواجه من آله ؟ علىٰ قولين ، هما روايتان عن أحمد ، أصحّهما أنّهنّ من آله وأهل بيته ، كما دلّ علىٰ ذلك ما في الصحيحين من قوله : اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ أزواجه وذرّيّته . وهذا مبسوط في موضع آخر»[٧٦] .

أقول :

لقد حاول ابن تيميّة التهرّب من الالتزام بمفاد الآية المباركة والسُنّة

---

(٧٥) سورة التوبة ٩ : ١٠٨ .

(٧٦) منهاج السُنّة ٤ / ٢١ ـ ٢٤ .

النبوية الثابتة الصحيحة الواردة بشأنها ـ كما اعترف هو أيضاً ـ بشبهات واهيةٍ وكلماتٍ متهافتة، ومَن راجع كتب الأصحاب في بيان الاستدلال بالآية المباركة ـ على ضوء السُنّة المتّفق عليها ـ عرف موارد النظر ومواضع التعصّب في كلامه...

وقد ذكرنا نحن أيضاً طائفةً من الأحاديث المشتملة على وقوع إذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم عنه من الله سبحانه بإرادته التكوينية غير المنافية لمذهب أهل البيت في مسألة الجبر والاختيار.

فالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد عيّن المراد من «أهل البيت» عليهم السلام في الآية المباركة بعد نزول الآية المباركة، ودعا لهم أيضاً ولا ريب في أنّ دعاءه مستجاب.

كما علمنا من الخصوصيات الموجودة في نفس الآية، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في معناها أنّ الآية خاصة بأهل البيت ـ وهذا ما اعترف به جماعة من أئمّة الحديث كالطحاوي وآبن حبّان تبعاً لأزواج النبيّ وأعلام الصحابة ـ وأنّها نازلة في قضيةٍ خاصة، غير أنّها وُضعت ضمن آيات نساء النبيّ، وكم له من نظير، حيث وُضعت الآية المكّيّة ضمن آياتٍ مدنيةٍ أو المدنية ضمن آيات مكّيّة.

وقد دلّت الآية المباركة والأحاديث المذكورة وغيرها على أنّ عنوان «أهل البيت» ـ أي: أهل بيت النبيّ ـ لا يعمّ أزواجه، بل لا يعمّ أحداً من عشيرته وأُسرته إلّا بقرينةٍ.

هذا، وفي صحيح مسلم في ذيل حديث الثقلين عن زيد بن أرقم، أنّه سئل: هل نساؤه من أهل بيته؟ قال: «لا وأيم الله، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها».

وهذا هو الذي دلّت عليه الأحاديث.

وأمّا ما رووه عنه من أنّ: «أهل بيته من حرم الصدقة من بعده» فيردّ تطبيقه علىٰ ما نحن فيه الأحاديثُ المتواترة المذكور بعضها، ومن الواضح عدم جواز رفع اليد عن مفادها بقول زيد هذا.

* * *

خلاصة البحث

وتلخّص : أنّ الآية المباركة لم تنزل إلّا في العترة الطاهرة ، وهذا ما أشار إليه السيّد ـ رحمه الله ـ بقوله : «هل حكمت محكماته بذهاب الرجس عن غيرهم ؟! وهل لأحدٍ من العالمين كآية تطهيرهم ؟!» .

فقيل :

«هذه الآية لم تنزل في آل البيت ـ كما يفهم المؤلّف ـ بل نزلت في نساء النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم، وإنْ كان معناها متضمّناً لآل البيت بالمفهوم الضيّق الذي يفهمه الشيعة ، وهم أبناء عليٍّ وفاطمة .

وليس فيها إخبار بذهاب الرجس وبالطهارة ، وإنّما فيها الأمر بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم ، وذلك كقوله تعالىٰ (المائدة : ٦) : ٢ ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكنْ يريد ليطهِّركم** ﴾ وكقوله تعالىٰ : (النساء : ٢٦) : ﴿ **يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم** ﴾ وكقوله (النساء : ٢٨) : ﴿ **يريد الله أنْ يخفّف عنكم** ﴾ ...

وممّا يُبيّن أنّ ذلك ممّا أُمروا به لا ممّا أُخبر بوقوعه : أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم أدار الكساء علىٰ عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين ثمّ قال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً . رواه مسلم من حديث عائشة ، ورواه أصحاب السنن من حديث أُمّ سلمة . وفيه دليل علىٰ أنّه تعالىٰ قادر علىٰ إذهاب الرجس والتطهير .

وممّا يُبيّن أنّ الآية متضمّنة للأمر والنهي قوله في سياق الكلام

(الأحزاب : ٣٠ ـ ٣٠) : ﴿**يا نساء النبيّ مَن يأتِ منكنّ بفاحشةٍ مبيّنة**﴾ إلىٰ قوله : ﴿**ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولىٰ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً * وآذكرن ما يُتلىٰ في بيوتكنّ . . .**﴾ .

فهذا السياق يدلّ علىٰ أنّ ذلك أمر ونهي ، وأنّ الزوجات من أهل البيت ، فإنّ السياق إنّما هو في مخاطبتهنّ . ويدلّ الضمير المذكّر علىٰ أنّه عمَّ غير زوجاته كعليٍّ وفاطمة وآبنيهما ، كما أنّ مسجد قبا أُسّس علىٰ التقوىٰ ، ومسجده أيضاً أُسّس علىٰ التقوىٰ وهو أكمل في ذلك ، فلمّا نزلت (التوبة : ١٠٨) : ﴿**لمسجد أُسّس علىٰ التقوىٰ**﴾ تناول اللفظ مسجد قبا ولمسجده بطريق الأَوْلىٰ .

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن أسلم[٧٧] : (. . . وأهل بيتي ، أُذكّركم الله في أهل بيتي . ثلاثاً) .

فقال الحصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ !

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده .

قال : ومن هم ؟

قال : آل عليٍّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عبّاس .

قال : كلّ هؤلاء حرم الصدقة ؟ !

قال : نعم . (مسلم ١٢٢/٧ ـ ١٢٣) .

وفي الصحيحين : اللّهمّ صلِّ علىٰ محمّد وعلىٰ أزواجه وذرّيّته . (المنتقىٰ : ١٦٩) .

وعلىٰ هذا ، فإنّ كلام المؤلّف عن هذه بأنّها قد حكمت بذهاب الرجس

---

(٧٧) كذا .

عنهم وتطهيرهم كلام تنقصه الدقّة، بل فيها حكم بإرادة الله ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم، وذلك إذا فعلوا ما سبق أن خوطبت به نساء النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم في الآيات السابقة».

أقول:

وهذا الكلام هو كلام ابن تيميّة، وقد ذكرنا غير مرّةٍ أنّ هؤلاء المتأخّرين، المناوئين لأهل البيت الطاهرين، يلجأون إلىٰ كلمات ابن تيميّة متىٰ ما أعوزهم الدليل، وقد عرفتَ التهافت والتناقض في كلمات ابن تيميّة حول آية التطهير.

لكنّ هذا الرجل اختار هذا الكلام دون كلامه السابق، لخلوّ هذا من التصريح بصحّة الحديث وكونه فضيلةً خاصّة بأهل البيت عليهم السلام!!

علىٰ أنّ نفس هذا الكلام أيضاً متهافتٌ ـ كما لا يخفىٰ علىٰ أهل النظر والتدقيق ـ لأنّه يقول أوّلاً: «هذه الآية لم تنزل في آل البيت كما يفهم المؤلّف» ففي مَن نزلت؟!

يقول: «بل نزلت فينساء النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم».

وهذا قول عكرمة الخارجي!

لكنّه يستدرك قائلاً: «وإنْ كان معناها متضمّناً لآل البيت...».

وهذا عدول عن رأي عكرمة وقبول للقول الآخر.

ثمّ يناقض نفسه فيقول: «ويدلّ الضمير المذكّر علىٰ أنّه عمّ غير زوجاته كعليٍّ وفاطمة وآبنيهما» لأنّ ظاهر قوله: «كان معناها متضمّناً...» نزول الآية في النساء فقط وهو قول عكرمة، وقوله: «ويدلّ الضمير المذكّر...» صريح في شمول الآية لغير النساء!!

لكنّ قوله ـ تبعاً لابن تيميّة ـ: «كعليٍّ...» خروج عمّا ذهب إليه

المسلمون قاطبةً . . .

وعلىٰ كلّ حالٍ ، فإنّها محاولات يائسة . . للتملّص عمّا جاءت به السُنّة النبوية الشريفة الثابتة لدىٰ المسلمين . .

وما كلّ هذه التمحّلات والمكابَرات وأمثالها من الكُتّاب المتأخّرين ـ كالدكتور السالوس ، كما في كتابنا : مع الدكتور السالوس في آية التطهير ـ إلّا لعلم القوم بما تنطوي عليه الآية المباركة والأحاديث الواردة في معناها من دلالات . . .

والله هو العاصم ، وهو وليّ التوفيق .

للبحث صلة . . .